المحاضرة الثالثة: مهارة الاستماع والتلقي

1/ تعريف الاستماع: الاستماع هو عبارة عن عملية يعطي فيها المستمع اهتماماً خاصاً للطرف الآخر، حيث يعتبر الاستماع مهارةً وفناً، إذ أنّه يعتمد على عمليّات عقليّة معقّدة؛ نظراً لضرورة تآزر كلٍ من التفكير والسمع مع بعضهما البعض، ومن المعروف أنّ لهذه المهارة دورٌ أساسيّ في عملية التعلّم، فقديماً كانت هي التي يتمّ من خلالها نقل الثقافة والعلوم المختلفة من جيل إلى جيل أخر.

2/ مستويات مهارة الاستماع: للاستماع خمس مستويات وهي:

- السمع: وهي حاسة السمع المعروفة التي يمتلكها الانسان والعضو المسؤول عنها هي الأذن.
- السماع: ويقصد به الاقتصار على استقبال الأذن لذبذبات صوتية دون اعارتها اهتماما أو إعمال الفكر في المادة المسموعة، وهي عملية فيزيولوجية بحتة حيث يتوقف نجاحها على سلامة الأذن وقدرتها على التقاط الذبذبات المختلفة، وهو أمر فطري موجود في الانسان لا يحتاج إلى التعلم أو التدرب.
- الاستماع: عملية يعطي فيها المستمع انتباها خاصا لكل ما تتلقاه الاذن من أصوات، وهو فن يحتاج إلى قدرات قوية نتيجة ضرورة إعمال الذهن لفهم معنى هذه الأصوات.
- الإنصات: هو أعلى درجة من الإستماع بحيث يتصف بالإنتباه القوي والتركيز الشديد أو ما يعرف بالاستماع اليقظ كما جاء في قوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون). "الأعراف: 204".
- التدبر: ويقصد به الانصات مع استخلاص الفائدة وأخذ العبر والحكم في كل ما يسمعه الإنسان، وهذه المراحل متعاقبة تبدأ من استقبال الذبذبات وتنتهي بالمبالغة في الاستماع والتفكر والتدبر في المعاني المسموعة.

3/ أهمية مهارة الاستماع: تتمثل أهمية مهارة الاستماع في ما يلي:

- تعزيز وتنمية عملية التفكير من خلال إشغال العقل بكل ما يقوله المتكلم.
- بناء مهارة النقد والتحليل من خلال الاستماع الجيد لكلام المتحدث ومحاولة التحري عن صحة كل ما يقوله.
- تعزيز عملية الاتصال والتواصل الفعالة من خلال عدم التسليم بكل شيئ يسمعه.
- مهارة تعليمية بامتياز.

4/ مهارات الاستماع الجيد: لكي تكون مستمعا جيدا عليك الاتصاف بهذه الخصائص:

- ابقاء العينين متصلتين مع المتحدث.
- تجنب مقاطعة المتحدث ليس مطلقا.
- البقاء جالسا وتجنب الحركة غير الضرورية قدر الامكان.
- الالتزام بالإيماءات والحركات التي توحي للمتحدث بالتركيز الشديد.
- طرح بعض الأسئلة المتعلقة بالموضوع أثناء (بموافقة المتحدث) أو بعد نهاية الحديث.

وأخيرا يمكن القول أن مهارة الاستماع تعمل على تعزيز وتنمية عملية التفكير من خلال إشغال العقل بكل ما يقوله المتحدث، بناء مهارة النقد والتحليل والتأكد من صحة كلام المتحدث. فالمستمع الجيد يتأكد من كلام المتحدث ويحاول التحري عن صحة كل ما يقوله، فلا يجب عليه التسليم بكل شيئ يسمعه، وكذلك تعزيز عملية الاتصال والتواصل الفعالة مع الآخرين في عصرنا الحديث بين مختلف مناطق العالم.

5/ تعريف نظرية التلقي :تُعنى نظرية التلقي بشكل رئيسي بعملية استقبال نص ما وتفسير ما يتضمن من معاني من قبل متلقيه، وهي من النظريات التي تطورت على يد عدة منظرين أمثال هانز روبرت جوس، ولفنجانج أيزر، علماً أن نظريات التلقي اختلفت منذ القدم إلى وقتنا الحي من حيث العلاقة التي تربط النصوص؛ سواء المقروءة أو المعروضة مع المتلقي، وما يلعبه من دور فعال في تفسير وتأويل النص، إذ كانت النظريات في ما مضى تنظر إلى المتلقي على أنه عامل مستقبل للنص لا أكثر، متجاهلةً دوره في زيادة جمالية محتواه وفقاً لأسلوب القراءة، ولكن نتيجة ما نشهده اليوم من انفتاح ثقافي وفكري، وتنوع في النتاجات الأدبية والفنية؛ أصبحنا نرى مساهمة فعالة في دور القارئ بعملية النقد بصورة مباشرة وغير مباشرة، الأمر الذي أدى بدوره إلى بدء ظهور نظرية التلقي، والجدير بالذكر أنه يمكن تعريف عملية التأويل على أنها تحديد المعاني اللغوية في الأعمال الأدبية عبر إعادة صياغة التراكيب والمفردات في النص، وتحليلها.

6/ تطور نظرية التلقي: كانت النظريات قديماً تعمل على إغلاق آفاق التأويل عند متلقي النص؛ حيث كانت تساهم بغلق مجال تفكيره في إطار ذو قواعد وضوابط محددة تحد من دوره الفعال في الوصول إلى فهم معاني النص بشكل كامل من خلال تفسير ألفاظه، في حين تساعد نظريات التلقي الحديثة بتفعيل إمكانيات المتلقي من حيث التأويل، وتعمل على توسيع مداركه العقلية، والقدرات الحدسية لديه، مما يمنحه حقوقه في التعبير عن شخصيته وما يدور داخله، ويمكن القول أنها تمثل نقلة نوعية في مجال التعامل مع النصوص، إذ تطور من المفهوم التقليدي الذي يعلم ضمن معايير وقيود محددة إلى المفهوم الحديث وما بعده الذي يوسع من مدارك القراءة النقدية للمتلقي عبر عملية تفكيك وتأويل النص، بالإضافة إلى دراسة العلاقة ما بين الدال والمدلول، ثم ربط العلامات وفق لمنظومات دلالية تكوّن المحاور الرئيسية للمعني الذي يصل إليه المتلقي عبر الفهم والحدس والإدراك، إذ يمكن تعريف المتلقي على أنه الشخص

الذي يقوم بفك ما يحتوي عليه النص من شفرات، وإغلاق الفجوات فيه، وكل ذلك بهدف الوصول إلى المغزى الفكري منه.

7/ مهمة المتلقي: تكمن مهمة القارئ أو متلقي النص بعملية توضيح وتأويل المعاني الموجودة فيه، ومن الأولى أن لا ينحصر التأويل على معنى واحد فحسب أو على تفسير سطحي؛ حيث لا يمكن إدراك كافة معاني المحتوى من خلال القراءة فقط، فكلما أعاد المتلقي القراءة سوف يكتشف معاني أخرى لم يدركها في المرة الأولي، وحين يتمكن من معرفة العوامل التي تشكل أساساً في تشكيل المعنى وكيفية صياغته؛ سوف يكون قادراً على الوصول إلى معنى النص أو معانيه.